احمد رمزى

أفريقيا

احمد رمزى

أفريقيا

من فلسفة الثورة :

للبكباشى أركان الحرب جمال عبد الناصر
رئيس مجلس الوزراء

إننا لن نستطيع بحال من الأحوال - حتى لو أردنا - أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعماق افريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين

لانستطيع لسبب هام وبدهى هو أننا فى افريقيا . ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع إلينا نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله .

ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نتخلى عن مسئوليتنا فى المعاونة بكل مانستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء .

ويبقى بعد ذلك سبب هام هو أن النيل شريان الحياة لوطننا يستمد ماءه من قلب القارة :

ويبقى أيضا أن السودان — الشقيق الحبيب — تمتد حدوده إلى أعماق افريقيا .

والمؤكد ان افريقيا الآن مسرح لفوران عجيب مثير وان الرجل الأبيض الذى يمثل عدة دول أوربية يحاول الآن إعادة تقسيم خريطتها ، ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نقف أمام الذى يجرى فى افريقيا ونتصور أنه لايمسنا ولا يعنينا .
ولسوف أظل أحلم باليوم الذى أجد فيه فى القاهرة معهدا ضخما لافريقيا يسعى لكشف نواحى القارة أمام عيوننا ويخلق فى عقولنا وعيا افريقيا مستنيرا مع كل العاملين من كل أنحاء الأرض على تقدم شعوب القارة ورفاهيتها .

تحية الى شعب السودان

أيها الشعب السودانى الكريم
الذى أنشأ أول حكومة وطنية فى الخرطوم ...
نادت بعروبة السودان وآمنت بالحرية والاستقلال ...
وجعلت أول هدف لها التعاون والتفاهم مع مصر ...
أحييك تحية العروبة والاسلام
أتدرى أيها الشعب السودانى الكريم ...
ان دماء العرب من بنى أمية وبنى العباس تجرى فى عروقك
أتعلم أن القبائل العربية التى نزحت إلى بلادك ...
قد صهرتها بوتقة مصر الاسلامية العربية قبل أن تجىء اليك ..
فجاءت قوية الجانب لا تلين لها قناة ..
انى أحييها فى نهضتك ...
أتعلم أن الآباء والأجداد بيننا اشتركوا فى الحروب والمعارك ...

منذ أيام احمد بن طولون ، . والفواطم والأخشيد ...
الحرب سجال والكتائب تسوق بعضها بعضا ...
إلى الشام وحلب والعواصم وطرسوس ...
كانت الطائفة تقيم كل عام مهرجانا لبطولتنا وشجاعتنا ..
لذا أحي فيك أعلامها ... فسائل بيزنطة وأهل الروم كم مرة انتصرنا عليهم ؟
وسائل الافرنج فى الداخـــل والساحل كم من مرة ولوا الادبار أمامنا ...
فى حطين وأمام عكا وانطاكية ، وعين جالوت ..
الأيام تتحدث والمفاخر واحدة والأمجاد مشتركة ...
فاذكر ثلاثة عشر قرنا من الزمن ...
أيها الشعب السودانى الكريم
ستهتز القارة يوم مولد حريتك ...
وستتحدث أنت إلى الدنيا حديثا جديدا ...
وستكون كلمتك هى العليا ... باذن الله ...

(كتبت يوم تأليف حكومة السودان)

افريقيا للافريقيين

أبحاث وآراء حــــرة

منذ نصف قرن مضى ، كان الحديث عن القارة الافريقية منحصرا فى توزيع مناطق النفوذ . ثم توطيد سلطان الدول الأوروبية على هذه القارة ، وكان أغلب ماتتحدث عنه المحافل السياسية هو نقل الحدود بين المستعمرات وادخال مناطق من ذات اللون الأحمر إلى الأزرق حيث رفعت الأعلام المختلفة وتوطد سلطان الرجل الأبيض من غير أن يؤخــــذ رأى لشعوب هذه القارة أو يحسب لها أى حساب .

ولا نزال نذكر الخلافات القائمة والتوسع المستمر الدائم وتنافس الحكومات الأوروبية على مانسميه حملات افريقيـا وحروبها ، بحثا وراء الأمجاد السهلة والانتصارات التى تقوم

بها الجيوش مدججة بالسلاح ضد الشعوب المجردة من السلاح .

ان الحروب الافريقية التى أحاطها الأوروبيون بالبطولة والأقدام ضد الشعوب السوداء لم تكن إلا مجازر يحمر له وجه الانسانية وستبقى سبة فى جبين المدنية الأوربية لعدة قرون قادمة كلما جاء ذكرها .

أما اليوم ونحن فى مستهل النصف الثانى من القرن العشرين فقد تبدلت الأحوال وتحركت الشعوب النائمة حتى الافريقية منها قامت بأكملها تطالب بحقها فى الحياة .

وليس موضع هذا البحث الكلام عن الاستعمار أو نظام الوصاية والانتداب ولا أن نعرض لحركات التحرير القومية التى بدأت فى أنحاء مختلفة من افريقيا كما أنه ليس بوسعنا أن نلم بتفاصيل النزاع القائم بين العناصر أوروبية التى استوطنت القارة الافريقية وسكان البلاد الأصليين سواء فى افريقيا الشمالية أو فى وسط أراضى اتحاد جنوب افريقيا .

لأن هذا البحث يحتاج لمؤلف قائم بذاته أو لعدة مؤلفات ، بل ان الاطلاع على تقارير عصبة الامم الملغاة وعلى تقارير لجان الوصاية بهيئة الأمم المتحدة أمر لا يمكن أن يتولاه شخص

بمفرده بل يجب أن تتولاه مجموعة من الهيئات .

ومصر كبلد افريقي مدعو بمركزه هذا ولمكانته على رأس الشعوب العربية والاسلامية وكعضو من أعضاء جامعة الشعوب العربية والاسلامية وكعضو من أعضاء جامعة الشعوب الآسيوية والافريقية ـ أن يلعب دورا أساسيا فى هذه الناحية .

فهل فكرنا فى شيء من ذلك ؟ ! . أغلب الظن أن السنوات القادمة ستفتح لنا هذا الطريق وستحملنا هذه الأعباء . .

ولكن الغريب فى نظرى أن بعض البلاد الافريقية المستقلة والتى تعتبر من صميم افريقية مثل اثيوبيا وليبريا لاتعير هذه المسائل ما تستحق من عناية ، بل تبدو فى كثير من المجامع الدولية وكأن الأمر لايعنيها .

فهل تعلق الأمم الافريقية الكثير من آمالها على هاتين الدولتين ؟ . أم أن عبء تحريرها سيقع على عاتق مصر وبقية الأمم العربية القاطنة فى افريقيا وفى مقدمتها السودان .

انى أعد اتفاقية السودان نجاحا لمصر ونجاحا للقارة الافريقية بأكلها ـ لأن مصر ضربت مثلا رائعا فى هذه الاتفاقية باعترافها بحق السودان فى الحكم الذاتى والتمتع بنظام دستورى

ديموقراطي ثم في حق الشعب السوداني أن يجهـــر بحقه في استقلال تام .

أقول ذلك لأنني سبق أن كنت بالسودان وجاهرت بأن الشعب السوداني المستقل سيكون باستقلاله دعامة كبرى لاستقلال مصر ، وان صداقة الشعب السوداني الحر هي ألزم لنا من أي سيادة كانت لا معنى لها ولا فائدة منها في القرن العشرين .

وكان رأيي دائما أن تتويج حركة التحرير في السودان بالحكم الذاتي والاستقلال ستبرز الى الوجود قوة افريقية جديدة تسيطر على قلب القارة الافريقية وستكون هذه القوة الطليعة الأولى التي تتركز حولها قوات التحرير المختلفة .

كذلك كنت من الداعين إلى ضرورة الاعتراف باستقلال ليبيا وإلى تأكيد هذا الكيان الدولي الجديد واستعجال خروجه إلى الحياة ، لأن هذه الدولة الناشئة ستكون أيضا من الطلائع الأولى التي سيمتد أثرها في الأنحاء المختلفة وسيكون من أثر انبعاثها انبعاث أمم أخرى تئن تحت وطأة الاستعمار الأوروبي .

لقد تحقـــق بعض هذا رغم العقبات التي وضعت ورغم

المشاكل التى أثيرت – ولايزال الطريق غير سهل بل ان أثر السياسة الاستعمارية لايزال يعرقل سير تحرير الشعوب المستقلة ولايزال يقيم السدود فى وجه دعاة التحرير فى المناطق الأخرى

لأن المشكلة التى يثيرها دعاة الاستعمار فى المحافل الدولية هى أن القارة الافريقية تعتبر جزءا متمما لاوروبا ، وان افريقيا وقد وضعت فيها فرنسا الكثير من رءوس أموالها وكذلك بلجيكا والبرتغال وبريطانيا تعتبر بحكم التشريع وبحكم الاتصال المباشر جزءا لايتجزأ من أراضى وأملاك الدول الاوروبية صاحبة السيادة .

وكنا نسمع دائما وباستمرار أن مجرد التفكير فى تأليف لجنة اقتصادية افريقية للمجلس الاقتصادى والاجتماعى يعد كفرا بمبادىء هيئة الأمم المتحدة ، وكان ماينطق به مندوب بلجيكا يؤيده ويباركه مندوب فرنسا – وكان أشد المندوبين وطأة على شعوب افريقيا وآمالها مندوب اتحاد جنوب افريقيا

اننا لانزال نؤمل فى أن تأتى سنة ١٩٦٠ فيتحقق استقلال الصومال أو يأتى يوم تتأكد فيه هيئة الأمم المتحدة من ضرورة تحرير اريتريا تحريرا كاملا ، ولكن حينما يتعلق الأمر بتحرير

تلك المناطق التى كانت يوما ما مستعمرات لألمانيا مثل افريقيا الشرقية البريطانية وافريقيا الغربية وتوجولاند والكمرون. تلك المناظق التى نزعت من ألمانيا ووضعت تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة ونص فى صلب ميثاقها على تحرير شعوبها — رأيت تفاهما وتعاونا بين المستعمرين على ابقاء الحالة الراهنة كما هى .

فهل رأيت وكيلا عن زيد من الناس يتولى أمور غيره لمدة معينة من الزمن فيغتصب ملك الموكل ؟ ! وهل رأيت وصيا من الأوصياء يعينه القضاء لادارة شئون القاصر فيدعى الملكية فيما ورثه هذا القاصر عن أبيه وجده ؟ ! .

الحقيقة أن هذه الشعوب المظلومة يخافها الاستعمار ويخشاها حتى وهى فى محنتها .

لذلك نرى ونؤمن بأن على مصر الناهضة وعلى السودان المستقل وعلى ليبيا واجب دراسة وبحث هذه الشئون الافريقية وأن يسمع صوتنا عاليا فى كل جهة للدفاع عن حق هذه الشعوب

أما الناحية التى يقف أمامها الانسان مندهشا فهى علاقة السلطة الحاكمة الأوروبية بالشعوب المحكومة فى المستعمرات الفرنسية والبلجيكية والبرتغالية . .

ان هذه الشعوب المتمدينة تجعل من أساس تشريعها فى المستعمرات حرمان الشعوب الافريقية من حق التملك والتعليم والنهضة .. انها تفرض عليها لغات غريبة وثقافة غير افريقية وتضع هذه الشعوب فى مركز لايزيد عن مركز الحيوان — وحينما تطالب الهيئات الدولية ورجال التحرير والفكر من الاوروبيين أنفسهم بمعاملة تتفق مع واجب الانسانيـــة وما تؤكده علاقة الانسان بأخيه الانسان تقوم قيامة المستعمرين وتهدد دولهم بالانسحاب من هيئة الأمم المتحدة ويكف مندوبوهم عن حضور اللجان ويأبون إلا أن يعتبروا الظلم أمرا طبيعيا وأن تدخل أية دولة أو هيئه دولية أو المجلس الاقتصادى والاجتماعى تعديا على السيادة وافتئاتا على حقوق هذه الدول الأوروبية الغربية عن افريقية .

ان كل هذه المشاكل تمر أمام ناظرى كلما فكرت فى نهضة اخواننا السودانيين واتجاه بلادهم نحو التحــرير فأقول أن السودان له رسالة خاصة فى افريقية : هذه الرسالة ستدعم الأعباء التى أخذتها مصر على عاتقها لجعل افريقيا للافريقيين .. ومصر والسودان وليبيا فى حاجة إلى تكوين هذه الفئة

الممتازة من الرجال الذين يفهمون الشئون الافريقية فهما جيدا والذين بايعوا الله على أن يجعلوا من أنفسهم حراسا على هذا التراث الافريقى.

وخطا أماميا للدفاع عن حرية افريقيا ونهضتها وتمكين شعوبها فى الشمال والجنوب ، فى الشرق والغرب من أن تكون دولا حرة مستقلة وأن توضع فى المركز الذى يتفق مع كرامة الانسان فى القرن العشرين .

افريقيا

قارة المستقبـــل

لا يزال الجزء الشمالى من افريقيا منفصلا عن الوسط ، ولا يزال الوسط منفصلا عن الجزء الجنوبى .

ولم يكن هذ الانفصال قائما فى العصور السالفة ، وإنما جاءت هذه العزله بين الوسط والشمال من عمل الأوروبيين وسيطرتهم على القارة الافريقية

نقول ذلك ونحن على يقين بما نقول ، لأن كتب التاريخ تحدثنا عن طرق المواصلات ، التى كانت قائمة طول القرون الوسطى بواسطة القوافل عبر الصحـــراء إلى النصف ، وإلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط فى طرابلس وغيرها

بل ان الاتصال كان قائما بين تمبكتو ومراكش والجزائر عبر الصحراء الكبرى ، كل ذلك معلوم وكان من أثره ظهور

تلك الولايات والممالك الاسلامية الصغيرة ، المستقلة مثل سلطنة دارفور وسلطنة واداى تلك الممالك التى أنشأها المسلمون فى وسط القارة الافريقية ونشروا بها الاسلام فى ربوع القارة .

ثم كان مجيء الأوروبيين فى أواخر القرن العشرين ، واحتلالهم للمناطق التى كانت مقفولة فى وجوههم فقطع القارة الافريقية وقضى على حالة الازدهار التى كانت سائدة فى جزء كبير منها .. وأعقب هذا أن طرق القوافل قد اندثرت وأصبحت الخرائط خالية منها .

ولم يبق إلا هذا الركن الذى يعبر عنه بوادى النيل ، وهو المكون من مصر والسودان على صلة بواسطة الشريان الطبيعى وهو نهر النيل ، وحتى هنا شاءت السياسة الاستعمارية أن تقطعه وعملت على أن توجه السودان توجيها خاصا به ، فأصبح اتصاله بالعالم عن طريق سواكن وبورسودان ...

على ان المنطق كان يدعو إلى ضرورة مد الخط الحديدى بين وادى حلفا واسوان ، وأن يكون الاتصال بطريق النهر ممهدا بين القاهرة والخرطوم مهما قام فى سبيل ذلك من شلالات أو جنادل أو صخور ..

ولكن السياسة الاستعمارية ابت إلا أن نقطع أوصال هذا الركن من العالم أسوة بما تم لها في الوسط أي بين بحيرة شاد وبين بلاد المغرب ، ووادى السنغال .

ان هذه الحال لا يمكن ان تستمر ، وأن مستقبل افريقيا يحتم ان نخرج افريقيا إلى الوجود كقوة جديدة رغم أنف المستعمر والمستعمرين . بل ان واجب المشتغلين بالشئون الافريقية أن يستفيدوا من أمرين :

١ - من أخطاء المستعمرين

٢ - ومن مشاريع المستعمرين

أقول ذلك وأفترض وجود وعى قومى صحيح ، ان لم يكن فى وسط القارة ... فليكن بالقاهرة والخرطوم ، وان لم يكن بين عامة الشعب المصرى والشعب السودانى ، فليكن وجوده بين فئة من الرجال المختارين الذين يفكرون تفكيرا افريقيا صحيحا وينظرون إلى الأمام فأفترض وجوده فى القاهرة عند الرجل الذى تخترق بصيرته غيوم المستقبل فيبنى الأمل على ما ستتمخض به السنوات القادمة من تطور فى هذه القارة التى يصح أن يطلق عليها (قارة المستقبل) فهل لدينا هذه الفئة الممتازة ؟ . .

ان لم تكن موجودة بالفعل ، فعلينا أن نعمل لكى توجد ، وتبرز بفكرها وارادتها الى الوجود ...

اننا على وشك أن نكتشف هؤلاء الرجال الأبرار الذين يفكرون تفكيرا افريقيا صحيحا ، بل أذهب إلى القول بأن مستقبل العلاقات بين مصر والسودان لا يبنيه ولا يؤكده ويدعمه إلا فئة من هذا الفريق الذى أعدته الثورة بمصر .

ان الاستعمار الفرنسى يؤكد بان الجزء الغربى من افريقيا أى من حدود السودان إلى المحيط الأطلنطى ثم الى الشمال حيث بلاد المغرب : تونس ، والجزائر ومراكش ، يكون فى نظره كتلة واحدة أى بقعة موحدة ، وان الصحراء الكبرى برمالها وكثبانها ماهى إلا بحر متسع الأرجاء من الرمال تخترقه عدة طرق بين الشمال والجنوب ، ان لم تكن معبدة اليوم فسيجعلها الاستعمار معبدة فى الغد .

ان هذه المنطقة المتسعة الأرجاء جزء لا يتجزأ مما يسمونه الاتحاد الفرنسى — أى الكومنولث الفرنسى ولهذا الاتحاد نظامه ودستوره ، وجمعيته العامة ، وله قوانينه وهو يستعد لكى يدخل معركة تمكن الأوروبيين من تدعيم سيطرتهم الدائمة

والمستمدة من العلم والانشاء والتعمير ، والمعتمـــدة على قوة التسليح ، فما الذي أعددناه نحن لمواجهة كل هذا !

الرأى عندى ، ان البلاد الثلاث : مصر وليبيا والسودان يجب أن تكون قوة جديدة فى افريقيا وان أولى الأعباء الواقعة على مصر والمصريين هى اعادة الاتصال بالسودان .. لا عن طريق الجو وحده ولا عن طريق السكة الحديدية وحدها ولا عن طريق البحر الأحمر وحده .. وانما عن طريق السيارات وبانشاء عدة طرق معبدة منها مايخترق الصحراء ويسير فى درب الأربعين القديم ومنها مايخترق الصحراء الشرقية الى اسوان رأسا ومنها وهو الطريق الهام الذى يسير على شاطىء البحر الأحمر والذى سيرجع اليه فضل اكتشاف الموانى القـــديمة والمرافىء التى كان يستعملها العرب ، والمسلمـــون فى القرون الوسطى وكانوا يتصلون بواسطتها بشواطىء بلاد العرب وينتقل الحجاج بواسطتها إلى مكة والمدينة ...

ماذا أعددنا لمستقبل السودان

لا تمر العشر سنوات الآتية الواقعة بين ١٩٥٠ ، ١٩٦٠ من غير أن يتحقق حدث كبير فى القارة الافريقية سيكون له أثر فى العالم الدولى ، هذا الحدث هو (١) استقلال السودان ٢) استقلال الصومال .

ونحن معاشر المصريين كأمة عربية اسلامية نرحب بهذا ، لأنه يتفق مع شروط الكفاح التى وضعناها لأنفسنا والتى كرسنا حياتنا وجهودنا لتحقيقها .

ليس معنى استقلال السودان وخروجه الى الحياة الدولية انفصام صلات الوحدة والاتحاد والتفاهم مع مصر ، لأننا نعلم تمام العلم أن الشعب السودانى معنا ، وان كل ضربة يوجهها لقيود الاستعمار والاستغلال والاستضعاف هى خطوة نحو مصر ونحو أهدافها ونحو القيم التى قامت عليها ثورتنا الكبرى .

اننا فى حاجة الى أن يخرج استقلال البلدين كاملا ، لا شائبة

عليه ، يسير نحو التقدم والتطور ، ويوجه كلا الشعبين نحو الحياة الحرة التي لا تقل عن حياة أي شعب أوروبي أو أمريكي راق قد تملكته ارادة قوية حاسمة ترمي إلى نقل الجماعات والأفراد من حياة الأمم الضعيفة الى حياة الأمم الواعية القادرة على أن تتحمل مسئوليات الاستقلال وتبعات الحياة الحرة .

وها نحن معاشر المصريين ومعنا الأمم العربية والاسلامية والاسيوية ننظر الى اليوم الذى تتحقق فيه آمال الشعبين لكي نمد يدنا باخلاص اليهما ، حتى نساهم مع هذين الشعبين الكريمين في نهضتهما الكبرى وفي ازالة العقبات والصعاب التي وضعها الاستعمار ومعه طائفة من الأمم التي تسير في فلكه وتسبح بحمده وترى أن موقفها في المحافل الدولية والهيئات والمؤتمرات يجب أن يكون في صف الاستعمار مهما قال ومهما فعل ..

فهل من واجبنا أن ننتظر ذلك اليوم الذى يتحدثون عنه وتلك الساعة التي هي آتية لاريب فيها أم من واجبنا أن نستعد لذلك اليوم وأن نأخذ الأهبة لتلك الساعة من الآن ؟

أقول ذلك وأنا شاعر بالمصاعب والمتاعب والازمات التي يمكن أن يواجهها أي شعب من شعوب الارض حينما يقال

له أنه قد نال وثيقة الاستقلال .

فاذا كان القصد من الحصول على دبلوم الاستقلال وما تؤهله لحاملها من مزايا الحصول على التمثيل الخارجى والجلوس فى المحافل الدولية كما يحصـــل حامل الدبلوم على الدرجات والعلاوات ، فيكون إذن من حظ المستعمر أن يعلن الاستقلال فى كل زمان ومكان وكل أمة مستعمرة ومستعبدة .

ولكن للاستقلال شرائط وللاستقلال واجبات وللحرية ثمنها ، فالاستقلال فى نظرنا هو استمرار الجهاد والكفاح تحت صورة جديدة وتحت أعباء باهظة ويحتاج ذلك إلى ارادة حاسمة وقوة مستندة على عناد وتصميم لقطع مرحلة التخلف ولاعطاء السعادة والعمل لأكبر مجموع من السكان .

فالحرية والاستقلال هما فى استمرار النماء والبناء والتطور نحو تأكيد رسالة الشعبين فى هذا الركن من افريقيا .

فعلينا أن نستعـــد من اليوم ومعنا زعماء هذين القطرين الشقيقين واهل الرأى والفكر هناك ، لكى نضع الخطط التى ترمى إلى الاستفادة من يوم الاستقلال أكبر فائدة ممكنة لمستقبل الشعبين .

ان التجارب التى مرت بليبيا وحكومتها الاتحادية وحكوماتها الاقليمية وما واجهته من المتاعب منذ اللحظة الاولى التى أعلن فيها استقلالها لا تزال ماثلة أمامنا .

ولقد كان من حق الأمم العربية وفى مقدمتها مصر ومن واجبها أن تقدم للحكومة الليبية برنامجا كاملا وافيا تواجه به مشاكلها الدستورية والقضائية والمالية والتعليمية والادارية .

فعلينا أن نفكر من اليوم منطقيا وعمليا بما سيواجه السودان والصومال من مشاكل لكى تركز الأنظمة الاستقلالية الجديدة على أساس ثابت .

بل نذهب لأكثر من ذلك : يجب علينا أن نمد يد المساعدة لكى توفق الحكومتان من الآن إلى تربية وتنشئة طائفة ممتازة من الموظفين العاملين الذين يتولون مختلف الشئون وينهضون بأعباء الاستقلال كما تنهض به أية أمة راقية فى القرن العشرين .

ان التجربة التى سيدخلها السودان قريبا ، وسيدخلها الصومال سنة ١٩٦٠ ليست بتجربة لأهل السودان وأهل الصومال وحدهم ، بل هى تجربة للمبادىء التى قام عليها استقلال الشعوب الافريقية بأسرها ، فعلينا أن ننتظر ذلك اليوم بوثوق

وثبات وهدوء ، وعلينا أن نمهد لذلك اليوم بدراسة كافة الشؤون المالية والاقتصادية والسياسية والتشريعية حتى لا نفاجأ من أي ناحية بيد المستعمرين تعمل فى هدم هذا الاستقلال عقب إعلانه مباشرة .

ان الأعباء التى واجهها رجال الثورة فى مصر وواجهها رجال الاستقلال والحرية فى مختلف الشعوب العربية والآسيوية كانت خطيرة ، وقد واجهها رجال الثورة بشجاعة واخلاص وكانوا رجال حقائق وعمل وإنشاء قبـــل أن يكونوا رجال عواطف ولذلك كتب لهم النجاح وتحطمت مكائد المستعمرين ودسائسهم أمام يقظة هؤلاء الرجال .

كذلك نطمع فى أن يكون رجال الحكم ودعاة الاستقلال فى السودان وفى الصومال رجال ثورة بالمعنى الذى تفهمه مصر .

والثورة هى التغيير البطىء أو العنيف الذى ينتاب الحياة العقلية والانتاجية والسياسية لدى شعب من الشعوب .

والاستقلال الذى سيأتى قريبا للسودان وسيأتى سنة ١٩٦٠ للصومال ، هو تغيير بطىء باعتبار سير السنوات وعنيف حينما يعلن الاستقلال فكلا الشعبين سيدخل ثورة انشائيـة تقدمية

ترمى إلى اعطاء كل شعب منهما الجهاز الحكومى الاستقلالى، والى تمكين أبناء الشعبين من الحياة الحرة التى تفهمها وتعيش فى كنفها كافة الأمم التى نالت استقلالها

وهذا الجهاز الادارى والمالى والتشريعى يجب أن نفكر فيه من اليوم وأن نوجد العناصر التى ستسير عليه وأن نمهد لقيام أنظمة تتفق مع نهضة الشعبين واتجاههما نحو المثل العليا التى تنتظرها القارة الافريقية من أبنائها .

وعلينا أن ندرس الأنظمة التى قام عليها الاستعمار والقوانين الاستثنائية التى فرضها فى أنحاء هذين القطرين الشقيقين ، لأن تحطيم الأصفاد لا يكون على الورق بعد اعلان الاستقلال وإنما الجهاد الأكبر هو تدعيم هذا الاستقلال لكى تنهض تحت لوائه نهضة الشعوب القوية التى تريد أن تنعم بكل ما فى هذا الكون من علم ومقدرة وسيادة وأن تعبىء قواها لكى تؤدى رسالة الاستقلال كما يفهمها أى شعب أوروبى أو أمريكى فى القرن العشرين

التفريق في المعاملة

أساس كل سياسة استعمارية

لاتزال القارة الافريقية ، موطن المتناقضات ، فمن منذ دخلها الاستعمار الأوروبي ، تحكم حكما فريدا في بابه ، يجمع بين أحدث الأنظمة الديموقراطية وأقدم الأنظمة القبلية، ولاتزال تعيش فيها جماعات لاتختلف حالتها عن حالة الانسان الأول في العصر الهمجي والعصور الحجرية

والمستعمرون الأوروبيون ، رغم ما أوتوا من قوة وبطش ورغم ما انفقوا عليه من محاربتهم لأبسط قواعد الانسانية ورغم اختلاف مشاربهم في الاستعمار وتنوع أنظمتهم في حكم البلاد التي نكبت بسيطرتهم ... تراهم وقد أجمعوا أمرهم وشـــدوا عزائمهم على تنفيذ فكرة واحدة لا تتغير هي : التفرقة بين العنصر الأوروبي صاحب السيادة والولاية على الأرض ، والعنصر

الافريقى الملون ساكن هذه البقاع الافريقية ، فهو فى نظرهم يجب أن يوضع فى مركز اجتماعى وسياسى واقتصادى أقل من المركز الممتاز الذى يتمتع به العنصر الابيض .

نقول ذلك وبين أيدينا قرار اتخذه المجلس الاقتصادى ، والاجتماعى التابع لهيئة الأمم المتحدة فى تاريخ ٣ أغسطس سنة ١٩٥٣ يدعو إلى :

١ — تبادل وجهات النظر عن الوسائل التى يمكن أن تتبع لازالة التفرقة فى المعاملة

٢ — تنسيق الجهود التى تبذل لتخفيف هذه التفرقة فى المعاملة .

٣ — دراسة امكان وضع برنامج بأهداف معينة لازالة الفوارق فى المعاملة بين البشر

والكلام عن إزالة الفوارق فى المعاملة قديم ، قد تناوله الكتاب وأهل الرأى والبحث فى مؤلفاتهم وكتبهم وخطبهم ولكن هل كان لكل ذلك صدى أو أثر أو شبه أثر فى نفسية الحكومات الاستعمارية التى أنشأها الرجل الأبيض فى القارة الافريقية . الجواب : كلا .

انى لا أزال أذكر الاجتماع الذى دعت اليه جمعية الدفاع عن حقوق الانسان وإزالة الفوارق بين الأمم ، وهى مؤسسة فيها الأبيض والأسود والأسمر والأصفر من سائر سكان هذا الكوكب الأرضى وكان ذلك فى باريس .

لا أزال أذكر الكلمات القوية التى تفوه بها أحد أعضاء البرلمان البريطانى على ملأ من الناس فى الاجتماع الذى تم فى مدينة باريس فى ديسمبر سنة ١٩٥١ ، إذ قال :

« سيكون من العار على مدنيتنا التى نحيا فى وسطها الآن أن يذكر العالم بعد مئات السنين حالة الأمم الافريقية ، والطريقة التى تعامل بها بواسطة الدول المستعمرة ، ان أبناءنا وأحفادنا ستحمر وجوههم خجلا منا وسوف يقلبون الصفحات ...وهم يشعرون باشمئزاز وكراهية لنا وسيتعجبون كيف أن أناسا من البشر عاشوا فى القرن العشرين كانوا يعاملون رجالا وأمما بهذه الوحشية ... »

ان الحقوق البدائية الأولى فى ميثاق حقوق الانسان إذا عرفت طريقها فى أوروبا وأمريكا ، لاتجد من ينفذها فى افريقيا ، وليس ذلك قاصرا على المناطق التى احتلها العنصر

الأبيض واستوطنها مثل افريقيا الجنوبية حيث تسود كراهية العناصر السوداء أغلب السكان ، وإنما لا تطبق هذه المبادىء حتى فى الجهات التى يستوطنها ويسودها ويعيش فيها العنصر الافريقى وحده .

فهل حق الفرد فى التملك مضمون فى قوانين المستعمرات للأهالى الوطنيين ؟

الجواب : لا . . .

وهل حق التعليم والتثقيف موجود لدى الأمم السوداء أفرادا وجماعات ؟

الجواب : لا ... بدليل وجود مليونين من أبناء الجزائر من المسلمين من غير مدارس .

هل حق العبادة واختيار دين معين محترم فى كل الجهات ؟

الجواب . لا . . .

لقد عرفنا المستعمرين وأساليبهم وما كانوا يقومون به فى الجهات النائية والبعيدة عن مراقبة أعين العالم ولكن ما الرأى فى أن بعض البلاد افريقية التى نالت حظا من الاستقلال والحرية هى أيضا بدورها تتبع أساليب للتفرقة فى المعاملة بين رعاياها .

كل هذا يدعو المفكرين ، وأهل الرأى الى التساؤل عن حالة الجماعات الاسلامية التى تعيش فى القارة الافريقية سواء فى المستعمرات الخاضعة مباشرة للدول الأوروبيـــة ، أوفى الأراضى الواقعة تحت الانتداب ، أو فى البـــلاد التى نالت استقلالهـا .

اننا نقول ونجهر بالقول بأن التفرقة فى المعاملة لاتقوم بين الاوروبيين والعناصر الملونة فحسب ، بل ان هناك تفرقة فى المعاملة بين المسلمين وغيرهم : فهناك بقاع يوضع المسلم فيها موضعا أقل من غيره

ولذلك فهناك مسألة اســـلامية فى افريقيا ، وهناك بلاد اسلامية يسودها الدين الاسلامى ولها مشاكلها ومصائبها ، مثل أقطار شمال افريقيا العربية ، ولكن هناك بلادا بهـا أقليات اسلامية منبثة فى كل ناحية من نواحي افريقيا . . . والسؤال الذى نواجه به العالم هو : لمـاذا تعامل الأقليات الاسلامية معاملة أقل من غيرها ؟ ولمـاذا تحرم هذه الأقليات من بنـاء مساجدها وتولى شئونها الخاصة ، بينما يصرح للغير بأن يبنى مايشاء من معابد ، ويتولى شئون التعليم والتثقيف كما يشاء ؟

ان مشكلة الاسلام فى افريقيا مشكلة كبرى ... والافريقى الملون يوضع بحكم لونه فى مركز أقل من الأوربى ولكن هناك بقاعا ومناطق يوضع فيها المسلم فى مركز أقل من الأوروبى وأقل من الأسود غير المسلم .

لقد تعود الكثيرون منا أن يقفوا حيارى أمام هذه المشاكل وأن يخفوا هذه التفرقة فى المعاملة ، ومنا من يحاول تبريرها . ومنا من يحاول انكارها ، فهل من العدل والكرامة أن نخفى الحقائق وأن نحاول التهرب منها ؟

ان الدفاع عن كرامة المسلمين الافريقيين لاتنفى ضرورة المساهمة فى إزالة التفرقة القائمة بين الافريقيين والأوروبيين فهذه مسألة انسانية عامة .

ولكن الدول العربية الناشئة وفى مقدمتها مصر يجب عليها أن تعرف تماما ، وأن تتأكد من وجود التفرقة بين المسلمين وغيرهم ، هذه التفرقة قائمة فى البلاد التى نكبت بالاستعمار الأوروبى ، وفى البلاد الافريقية التى نالت حظا من الاستقلال وليس جهادنا فى تحقيق المثل العليا للشعوب الافريقية ، وبأكيد استقلالها بمانع لنا من أن نواجه الحقائق وأن نشعر هذه الأمم

أو الحكومات المستقلة ، بأن حقوق الجاليات الاسلامية أمانة فى عنقنا .

إن البرنامج الذى نعرضه يتخلص فى السير لازالة هذه الفوارق فى المعاملة فى ناحيتين :

الأولى : موافاة الأمم المتحدة بأنواع هذه التفرقة فى المعاملة وضرورة وضع حد لها .

الناحية الثانية : اعلان الحكومات الوطنية الافريقية بأن تمتع الجاليات الاسلامية بحقوقها كاملة هو الدعامة التى تبنى عليها كل سياسة للتفاهم والتعاون مع هذه الحكومات الوطنية .

إننا فى عالم شديد الوطأة على العناصر الافريقية ، وان حقوق الانسان التى نص عليها الميثاق وسجلته قرارات هيئة الأمم المتحدة ، لاتنفذ فى كثير من بقاع افريقيا . . . فعلينا أن نبرز للعالم المتناقضات وأن نجعل الكفاح مستمرا فى كل مكان حتى تتحقق العدالة للناس كافة وتزول التفرقة بين الأبيض والأسود وأن يتمتع المسلم الافريقى بما يتمتع به غيره من السكان

« فزان »

فى طـــريق التحــــرير

قرأت فى الصحف المصرية أخـــيرا أن فرنسا تتمسك باحتلال كل من غات وغدامس وهما بلدتان من صميم أراضى ليبيا ضمت الأولى فرنسا إلى اقليم الجزائر وألحقت الثانية بالجزء الجنوبى من تونس — أى أن هاتين البلدتين تقعان داخل حدود المناطق العسكرية الفرنسية التى يسودها قانون البطش الاستعمارى الفرنسى ونسيطر عليها حراب جنود البنغال .

فهل فكر أحد منا فى خطورة هذا الاحتلال ؟

وهل بذلت ليبيا بعض الجهود لاسترجاع سيادتها على هاتين البلدتين ؟

وهل لدى جامعة الدول العربية من المواثيق والدراسات ما يعلمها بأهمية هذين الموقعين ؟

وهل لدى وزارات خارجية الدول العربية معلومات وثيقة وحديثة عن كيفية إدارة هاتين المنطقتين وما يدور فيهما وأسماء من يحكمهما من الفرنسيين العسكريين والمدنيين ؟

هل ذهب أحـــد منا لتلك البقاع وعاين ما فيها وبعث بملاحظاته وأقواله ؟

الجواب على ذلك عند علام الغيوب .

أما أنا فأقول أن حياة الدول المستقلة ليست هينة كما نتصور بل ان مجرد الحصول على حرية أى شعب يتحتم أن تكون له سياسة خارجية مرسومة وان هذه السياسة لها عناصر تستند عليها ونحن طلاب استقلال وحرية للشعوب الافريقية ننادى بذلك ونعمل له ولكى نصل إلى أغراضنا يجب أن تكون لنا عيون ساهرة فى كل مكان تأتينا بمختلف التطورات وما يدور خلف الستار وما تحيكه السياسات الاستعمارية المختلفة بأساليبها الملتوية .

وليس من شك فى أن فرنسا تطمع فى اقليم « فـــزان » وليست أهمية فزان بأن يسكنها أربعون ألفا من السكان وأن عاصمتها « سبها » بدلا من « مرزوق » وانما العبرة فى أن «فزان»

فى نظر الفرنسيين اقليم ضخم متسع الأرجاء يشمل من الأراضى مايقدر بنصف المملكة المتحدة الليبية

كان لى الشرف منذ سنوات أن نشرت وألقيت المحاضرات عن خطر وجود فرنسا فى هذا الاقليم .

كتبت رسالة صغيرة وزعتها على مختلف الجهات ثم وضعت بحثا عن « فزان » فى كتاب « منادمة الحروب » .

بدأت حملتى هذه منذ سنة ١٩٤٦ وقد مضى عليها ثمانية أعوام ، شرحت باسباب معارك إيطاليا ثم معارك فرنسا وقلت على ملأ من الناس .

« ان رجال فرنسا يجاهرون بأن « فزان » جـــزء متمم للمستعمرات الفرنسية وانها أقرب إلى الجزائر وتونس منهـا إلى ليبيا وبرقة وانهم يعدون « فزان » بأراضيها المحطة الرئيسية للطريق الجوى الذى يصل بين « مدغشقر » وفرنسا وقلت ان بريطانيا وأمريكا سوف لاتعارضان فى هذه السياسة إذا قبلت فرنسا بعض الاشتراطات .. »

وقد تحقق كل حرف جاء فى أى سطر من السطور التى كتبناها وتنبأنا فيها بما سيحدث فهل كان لكل ذلك صدى فى

المحافل العربية المهتمة بمستقبل ليبيا ؟

لقد بقي احتلال فرنسا قائما لكافة الأراضي الداخلة في إقليم « فزان » ، كما بقيت إدارته بأيديهم رغم الاعتراف باستقلال ليبيا المتحدة ورغم دخول « فزان » في هذا الاتحاد كاقليم له حكمه الذاتي والى الآن لم تباشر حكومة الاتحاد الليبي ولايتها التامة في نطاق الدستور الليبي ولم يتمكن رجال الحكومة الليبية من مباشرة سلطانهم والقيام بخدماتهم للشعب الفزاني ، بل هناك أكثر من هذا ان المنظمات الدولية المختلفة لاتدخل هذا الاقليم إلا بترخيص من فرنسا ولا تتصل هذه الهيئات بالسكان إلا عن طريق ممثلي فرنسا .

ولقد سمعت بأن ملك ليبيا زار باريس ونزل ضيفاً على رئيس الجمهورية الفرنسية ودارت محادثات في شأن « فزان » وطريقة استعادة حكومة ليبيا المتحدة لبعض سيادتها على هذا الاقليم .

فهل يتم شيء من ذلك من غير مقابل ؟

انني أتصور أن مثل هذه المحادثات تتناول عدة أشياء .

أولا - ما يتعلق باشتراطات فرنسا على حكومة ليبيا المتحدة لكي تتساهل بعض التساهل في تسليم شيء من الأمور

الادارية للحكومة المتحدة أو لحكومة فزان الوطنية

ثانيا — أن فرنسا ستطلب مقابل هذا التسليم تحقيق بعض الرغبات الاقليمية فهل ستكتفي « بغات » و « غدامس » وحدهما أم ستطالب بالاراضي التي اقتطعها موسوليني من مستعمرات فرنسا وهي تقدر بمائة ألف كيلو متر مربع .

الخطورة في مثل هذه الأمور جميعا تتركز في أن تواجه ليبيا منعزلة أساليب السياسة الفرنسية الاستعمارية ذات الحول والطول والتجارب العتيقة في معالجة الشئون الاستعمارية والمشاكل الافريقية والتي لها من الفهم وطرق التأثير ما يمكنها من النجاح في كل مفاوضة تدخل فيها مع حكومة اسلامية لا تملك وسائل الفرنسيين وقوتهم في الادراك والاقناع .

فهل من مصلحة الأمم العربية أن تترك ليبيا وحدها تعالج شئونها مع فرنسا ؟

لقد أثيرت مسألة المعاهدة الليبية البريطانية وسادت العلاقات بين ليبيا والجامعة العربية سحابة لا شك في أنها مفتعلة أريد بها أن تنفرد حكومة ليبيا المتحدة بمفاوضات لا أشك في أن رجالها على مقدرة في الخروج بسلام منها

ولكن الدولة مهما بلغت من العظمة والتفوق فى حاجة إلى معونة غيرها لكى تصل إلى أغراضها .

فرنسا ذات السياسة الاستعمارية الافريقية التعسفية لا تنفك تعتمد على مساعدة بلجيكا وهولاندة وكذلك نحن مع ليبيا يجب أن تمد الدول العربية وفى مقدمتها مصر يد المساعدة إلى ليبيا فى كل مشكلة من المشاكل التى تعانيها وليس معنى كلامى أن نفرض على حكومة عربية شقيقة نوع من الولايات أو الوصاية وانما من رأيى أن يكون لدى جامعة الدول العربية مجموعة من الخبراء والمستشارين المختصين فى معالجة هذه الشئون .

والسياسة الانشائية التى أدعو إليها تتخلص فى مواجهة أساليب الاستعمار الفرنسى بدراسة ووعى وفهم للامور فنحن معاشر الأمم العربية والاسلامية نقف وجها لوجه مع هذا الاستعمار العتيد الذى أنشأ أول ما أنشأ إدارة للشئون الاسلامية بمدينة الجزائر وليس الغرض من هذه الادارة رفع شأن الاسلام والمسلمين أو مساعدتهم نحو الرقى والتقدم أو تمكينهم من الحكم الذاتى والحرية والاستقلال وانما غرض هذه الادارة تمكين فرنسا من استبقاء سطوتها ودوام سلطانها على الأقاليم

والإسقلامية الإفريقية بطريق العلم ووسائل الفهم الصحيح وبقية الدعائم التي تستند عليها كل سياسة منطقية .

لتأكيد النجاح لنا يجب أن تكون لنا فئة ممتازة من الخبراء والمستشارين المختصين في مثل هذه الأمور حتى يبدوا بصراحة آراءهم وأفكارهم ويضعون نصائحهم أمام الحكومة الليبية وغيرها من الحكومات العربية حينما تعالج مشاكلها السياسية مع دولة أوروبية استعمارية .

وإن لم نفعل هذا تعرضنا دائما للنكسات السياسية وخرجنا من كل مفاوضة أو اتصال سياسي ونحن نحمل الغرم وغيرنا يحمل الغنم .

من السهل جدا على كل فرد أن يتخذ سياسة ارتجالية أو ان يقف في المحافل الدولية ويلقي عدة خطابات حماسية تحمل طابع الجدل ثم يعود لبلاده فتنقل الصحف والإذاعات ماقيل في باريس وليك سكس ونيويورك ولكن ما النتيجة ؟

- النتيجة أن نفقد المراكز السياسية واحدا بعد الآخر أن تدخل الحكومات العربية في مفاوضة أو مناقشة والسياسة الاستعمارية تطاولها وتصانعها ثم تصل في النهاية إلى تحقيق أهدافها .

وفى رأيي أن مشكلة « فزان » من أول المسائل التى يجب أن تتركز عليها الجهود بل أن حكومة ليبيا كان من واجبها قبل أن تعقد اتفاقا مع البريطانيين والأمريكيين أن تطالب فى مقدمة ما تطلب إخراج الفرنسيين من فزان .

وفى رأيي أن الفرنسيين إذا جلوا عن أراضى ليبيا فهى هذا ابتداء جلائهم عن شمال افريقيا لأننى أقول « إن الذى يسيطر على هذا الركن من القارة الإفريقية بوسعه أن يملأ السودان بأكمله فى شقية بوادى النيل وفى « واداى » وفى الصحراء الكبرى - بالدعوة والدعاية التى يريدها فيهز الاستعمار الأوروبى هزا ويقلق مضاجعه . . »

وهل فهمنا الآن سر تمسك فرنسا « بفزان » وعلة اقامتها السور الحديدى حول هذه البقعة العربية من الوطن الليبى .

أرجو أن تتحقق الآمال وتجلو جنود فرنسا عن هذه البقعة

« المولد النبوى »

يمر المولد النبوى كل سنه باحتفالا نه كمثله من كل عام وكان يأتى فى السنوات السابقة للحرب العالمية الأولى فيمر على البلاد والاهتمام به أزيد والاحتفال به أكبر ويشترك فيه زمرة من الناس ذلك لأن القاهرة لم تكن قد تحملت وطأة حربين عالميتين فنجوت من مساوئها وزادت مساحتها وضاعفت من عدد سكانها .

وأعتقد أن مناسبة عيد المولد مناسبة سعيدة يجب أن تحتفل بها البلاد بأسرها وأن تظهر المدن المصرية فى حلة قشيبة متلألئة وأن يكون هذا العيد من أكبر الأعياد وهذا الاحتفال من أكبر الاحتفالات .. لا من الناحية الحكومية والشعبية بل من ناحية الرواج الداخلى والاستعداد له فى مختلف الجهات لكى يقدم الناس على الشراء والبيع لا من ناحية الحلوى فحسب

وعرائس المولد .. بل من ناحية إقامة المآدب وعرض مختلف السلع أى ننظم هذا المولد النبوى حتى يكون أكبر واسطة للدعاية ولاقامة الأسواق المحلية ولدعوة الناس إلى الاحتفال به والسفر إلى العواصم والمجىء من مختلف الجهات

ان مثل هذه الموالد توجد الحركة وتوجد انتباها وتوجد سرورا بين الجماهير . والعهد الجديد عهد يدعو إلى القوة وإلى وسائل الأخذ بها — وأكبر مظاهر القوة هى الحركة والتنقل والتفاؤل والشعور بان هذه المظاهر هى دلائل القوة ودلائل التفاؤل والانشراح ودلائل النظر إلى المستقبل باطمئنان وثبات

ولذلك ننادى بان المولد النبوى موسم من المواسم السنوية يجب أن يبرز من حياة هذا الشعب الأمين وأن يحيطه العهد الحالى بعنايته وأن يستعد له من الآن للعام القادم

ومن هنا تاتى فكرة الدعاية والاعلان عن المولد النبوى واحتفالاته ومواكبه الشعبية لكى تكون واسطة لاجتذاب السائحين من البلاد الشقيقة وغيرها من البلاد الأوروبية والأمريكية لكى يحضروا إلى مصر ويروا باعينهم كيف يحتفل المصريون بعيد المولد النبوى

وانى لأتصور طبع «أجندة» للحفلات والمناسبات والمظاهر التى ستتم فى بحر سنة من السنوات بمدينة القاهرة أو الاسكندرية وأن يكون عيد المولد النبوى من الأعياد التى يشار إليها باهتمام فى هذه (الأجندة)

فاولئك الذين تقع أنظارهم على هذه الأجندة السنوية تتجه أنظارهم أول ماتتجه إلى الأعياد الوطنية ومن بينها كما قلنا عيد المولد النبوى الذى أرجو أن يكون مهرجانا شعبيا كبيرا على نمط المهرجانات التى تتم فى الخارج لمثل هذه المناسبات السعيدة فكل منا يعلم شيئا عن المهرجانات التى تقام فى مدن اسبانيا الأندلسية وكيف تجتذب آلاف السياح من مختلف أوربا وأمريكا

ورب قائل من أولئك الذين يتشككون فى كل شىء ويتهربون من مواجهة الواقع ويخلعون ثياب الشرقية فى كل مناسبة وغير مناسبة .. ورب قائل يقول ماذا تبتغى أن تعرض على هؤلاء الناس من مظاهر حياتنا القومية والدينية التى قد تكون موضع نقدهم وهم يهتمون بالجديد

الجواب على ذلك سهل وواضح اننا لا نرمى أن نعرض عليهم أشياء يمجها الذوق ويأنف منها السائح

ولكننا نريد أن يفهم الناس قيمة مولد الرسول وأثره فى قيادة العالم وعمله وتضحيانه فى سبيل تركيز مثله العليا ونريد أن تظهر مصر وما كانت عليه فى العصور السوالف وكيف كانت تحتفل بهذا العيد وكيف كانت تمر المواكب العظام وأهـل الطرق والأشاير ؟

لقد تحررت مصر من حكام كانوايقولون ان مصر بدأت بهم ولم تكن شيئا مذكورا قبلهم

ونحن نريد أن نقول أن مصر كانت شيئا مذكورا دائما فى مختلف عصورها الاسلامية فعلينا أن نظهرها على وجهها الصحيح

وأكبر عيد كانت تحتفل مصر به هو عيد المولد النبوى .. فعلينا أن نستلهم الماضى لكى تكون احتفالاتنا جديرة باحترام الجماهير وأبناء البلاد العربية والاسلامية جديرة باحترام من يأتى الينا من السياح لرؤيتها لا للتفرج على مهرجانات شرقية تلفت الأنظار وتبهر العيون وانما لكى يقتنع هذا الأجنبى بعظمة هذه الأرض وان لها مكانة مرموقة فى التاريخ .

فهل لدينا من أولئك الفنانين والمؤرخين من ينقب فى

صفحات الماضى ويجمع بين الوعى الصحيح والفن

ان المطلع على تاريخ الدولة الفاطمية وأعيادها يجد بحراً خضما من المعلومات عما كانت تقوم به مصر فى عيد المولد النبوى من مظاهر ومهرجانات يجب احياؤها

وفى دار الكتب المصرية مجموعات كبيرة من اللوحات التى رسمها مختلف السائحين الاوربيين الذين أتوا إلى مصر فى عصور متباعدة

منها على ما أذكر احتفال العيد النبوى بمهرجان شعبي فى البقعة الكائنة أمام « الصاعقة » أى فى هذا الطريق الذى تقع عليه مدرسة قلاوون وجامع الظاهر برقوق وغيره ان الذى يهمنا فى هذه اللوحة هو مختلف الأزياء التى كانت سائدة فى هذا العصر فهى جديرة بأن تدرس وأن تخرج من جديد فى مهرجان المولد النبوى تمثل هذا الاحتفال فى عصر من العصور وما يقال عن هذه اللوحة يمكن أن يقال عن غيرها ..

ولنفرض مثلا أن هناك لجنة لمدينة القاهرة تريد أن تضفى على عيد المولد النبوى لونا جديدا من الابتكار فأول ما تفكر فيه هو اقامة موكب كبير تظهر فيه مصر كما كانت فى مختلف

عصورها الاسلامية

أى أن هذه اللجنة تكلف عددا من المشتغلين بالتاريخ الاسلامى لاستخراج ما كان عليه السلف فى احتفالهم بهـــذا المولد الشريف وكيف كانت مواكبهم تسير . . فهناك شرذمة تمثل العهد العربى الأول .. ثم عهد الفاطميين وآل طولون إلى عهد صلاح الدين وأخيرا ركوب خليفة العصر الأوان بأعلامه أيام الظاهر بيبرس

ان مثل هذا الموكب إذا درس دراسة تجمع بين الحقيقة التاريخية والفن لا بد أن يجتذب عددا كبيرا من السياح ويكون فى حضورهم ورؤياهم الخير كل الخير لخـــدمة تاريخ مصر وإظهار المصريين بأنهم أصحاب تاريخ طويل من المجد فى عصورهم المختلفة

وان أترك هذا جانبا من غير أن أشير إلى مساجد مصر الكبرى مثل جامع عمرو ومسجد الناصر محمد بالقلعة ومسجد ابن طولون ومسجد الحاكم . والجامع الأزهر . تلك المساجد التى لها تاريخ طويل فى الاحتفال بالمولد النبوى وقراءة القصة النبوية وكيف كانت تضاء وتنار ويأتى اليها آلاف الناس ليحيوا

هذه الليلة الخالدة . . ان كتب التاريخ مملوءة بوصف الحفلات التى كانت تقام بها وان احياء تلك الليالى ليس بعسير بل ان العودة إلى الماضى تذكرة وعبرة وتدعيم للمستقبل

فى أحيـاء القـــرية المصرية

ان حالة القرية المصرية هى النتيجة الطبيعية للاحوال التى سادت البلاد منذ ثلاثين عاما الى اليوم .

واعتقد أن كل تطـــور يستلزم أن تكون لدينا خطة موضوعة للتعمير وسياسة مرسومة للانعاش الريفى : هدفها الأول رفع الانتاج العام فى الاراضى الزراعية مرحلة إلى الأمام .. وفروض الاصلاح والتعمير .

وأول مايعنى به المصلحون للانتقال بالقرية المصرية من حالة التخلف هو إيجاد رغبة للخروج من الحالة الراهنة ، وارادة لتنسيق مراحل التقدم ، وبيئة تعتقد بأن الاصلاح من ضرورات القرن العشرين ولذا تفكر فيه وتعمـــل له وتضحى فى سبيل تحقيقه

تقرير منظمة روكفلر

حينما نشرت منظمة روكفلر ، تقريرها عن القرية المصرية ومشاكلها غضب بعض الناس ، وجاءنى من موظف مصرى يشغل منصبا فى واشنجطون ، انه حاول أن يخفف من وقع هذا التقرير فى الاوساط الامريكية ، فأخذ يعلن عن بعض الاصلاحات التى قامت بها الحكومة .. ونشر بعض الأحاديث فى الصحف ، وهو عمل يشكر عليه ، وان دل على شىء فعلى غيرة هذا المواطن الكريم وحماسته ولكن هل يكفى هذا الاتجاه لتغيير الحقائق القائمة الملموسة ؟

رجال الاصلاح لا يخشون النقد بل يرحبون به

ان هناك فريقا من المصريين الذين يرحبون بنشر هذه التقارير الصريحة بل يطالبون المزيد منها ، وأنا واحد منهم ، لأننا رجال إصلاح قبل أن نكون رجال عواطف .. ونحن نطالب النقد والتوجيه ونهش لهما ويذكرنى هذا بأحد الخبراء الاجانب الذين تعاقدت معهم الدولة على دراسة نشاط معين بعد أن خصصت له المرتبات الكبيرة ، فكتب تقريرا كانت خلاصته أن مصر قد خطت خطوات كبيرة فى هذا العمل

وليس فى الامكان أحسن مما كان . . .

وقد رحبت المحافل بهذا التقرير بل اتخذته تكأة للاشادة بعبقرية القائمين بهذا النشاط وتوفيقهم فيه ، ويظهر ان واضع التقرير قد اتصل بمن أفهمه بأن يكتب تقريره على هذا النمط وأن هذا الاتجاه هو السياسة المثلى لارضاء المصريين به فهل يعد نجاحا لمصر أن يعلن هذا الخبير أن بلادنا حققت أهدافا مشكوكا فيها فى مشاريع تحمل من المبدأ جراثيم الفشل

ان الوطنية الصحيحة هى التى تطلب الاصلاح وتواجه النقص وتعترف بأننا قصرنا فى كثير من الشئون لانها تطلب المزيد من العمل والمزيد من الاخلاص والتضحية انها ترفض المدائح وترحب بالنقد لانها تأبى الغرور .

ماذا فى القرى ؟

وموضوع القرية المصرية فى مقدمة المسائل التى لاتحتمل جدلا ولا مناقشة : لأنها فى حالة بدائية تدهش الناظر اليها ولأن غالبية القرى مجموعة من البيوت الطينية يسكنها مجتمع من الناس فى حالة تأخر من جميع الوجوه .

هذه حقيقة لا يمكن اخفاؤها بل يجب اعلانها وابرازها

بجانب عوامل التقدم التي قامت بها البلاد . .

يجب وضع صورة التخلف بجانب مظاهر الانتعاش والرقي حتى تتملك البلاد رغبة التخلص من الحالة الأولى والوصول إلى المكانة الثانية .. هذا هو منطق التقدم والتطور . .

من المسئول ؟

في مصر أكثر من ٤٫٢٠٠ قرية وعزبة وكفر ، لاتزال على حالتها البدائية المتأخرة ، أي تتطلب الهدم واعادة بنائها من جديد . .

ولقد مضى أكثر من خمسين عاما على ادخال النظام النيابي مجلس شورى القوانين والجمعية التشريعية والبرلمان الحديث بمجلسيه . . .

وأكثر من أربعين عاما على نظام مجالس المديريات ... فما هي الخطوات الايجابية التي قامت بها هذه الأنظمة الشعبية للاصلاح الاجتماعي وبناء القرية الحديثة ؟ لاشيء . . .

تدريب القرى على ادارة بعض شؤونها

ولا يسع الباحث إلا أن يقر بحقيقة ثابتة لايمكن انكارها

وهى انه ليس فى القوانين العامة من دستورية أو ادارية ما ينص على اعطاء القرية نوعا من الشخصية ممثلا فى الحكم الذاتى أو الادارى ، لتولى بعض المرافق القروية تحت إشراف الحكومة أو مجالس المديريات ، ولم تحاول الدولة ابان هذه السنوات الطويلة الاقدام على محاولة واحدة أو تجربة مؤقتة ، تسمح لأهل القرية بتدريب أنفسهم على ادارة بعض الشئون العمرانية أو بايجاد نظام يشبه ماتقوم به البلديات . .

لقد رأينا الكثير من القرى التى بنيت على نظام واحد فى بعض بلدان الشرق والبلقان ، بنيت على أسس تخطيطية حديثة وقد يكون لدينا شىء من هذه القرى أنشىء على نطاق محدود . . ولكن الاصلاح الريفى يتطلب المداومة والاستمرار .

ان المنظمات الدولية قد قامت بانشاء وتخطيط مايلزم لاسكان ثلاثين مليونا من ضحايا الحرب العالمية الثانية، ولا يزال كثيرون يذكرون المدن التى خربتها قنابل الحلفاء فى فرنسا وألمانيا وايطاليا ، ان رؤية بعض هذه المدن المخربة ، كان يثير الحزن أما اليوم فقد قامت مكانها مدن حديثة تثير العجب وتسر الناظرين .

وأعتقد أن منظمة (روكفلر) أدت الينا خدمة لا تقدر بثمن لأنها هزتنا هزا عنيفا ويجب أن يستيقظ النائم ، وأن يقف على قدميه وأن يعمل باخلاص ...

الدعوة للاصلاح واجب عام وفرضه عيني

وسيقول بعض الناس ، انني قسوت فى أحكامى ، واننى لم ألمس مظاهر التقـدم والانشاء التى حققتها البلاد فى بعض التفاتيش التابعة لمصلحة الأملاك أو الجمعيات الزراعية .

وانى إذا سلمت بأن بعض ماقامت به هذه الهيئات يستحق الاشارة ، فلست بمقتنع بكفايتها بل لاأزال على رأيى الأول من أنها محاولات مرتجلة وليست نتيجة دراسة برنامج شامل عام

وأعتقد أن الدعوة لاصلاح القرية واجب عام وفرض عام على كل مصرى .. وان نجاح البلاد فى هذه الحركة دليل على تقدم الوعى فيها وعلى رغبتها فى التجرد وعلى تمسكها بمثلها العليا

ولكننى أسلم بأن تحقيق ذلك يتطلب عدة بحوث فنية وتمهيدية وعدة دراسات تجريبية عملية ... ترتكز على زيادة العمل فى الميدان الانتاجى الزراعى أولا والأخذ بالوسائل التى أخذ بها الغير أحيانا .

لهذا يجب أن نعد التربة أو المزرعة حقـــلا للتجارب الاصلاحية التى نقوم بها لنستفيد على ضوء ماينجح منها عندنا فننفذه على نطاق واسع ، متوخين أصول العلوم الاقتصادية والاجتماعية والادارية .

ان الاخصائى فى عمل من الأعمال ليس من يحمل رزمة من الشهادات والدبلومات والدرجات العلمية ، ولكنه الرجل الذى يحقق لبلاده نجاحا فى دائرة معيـــنة .. وهذا هو الذى تنشده مصر الحديثة ، ولن نصل إلى اخراج هذه الفئة من الاخصائيين قبل أن نغير مناهج البحث لدينا .. واليك ما أسوقه من دليل . .

منذ مدة أقام الاقتصاديون الزراعيون مؤتمـــرا لهم ، فاهتموا بما يسمونه (المزرعة التعاونية) ، وقد دعيت لحضور بعض اجتماعات هذا المؤتمر وسمعت بأن هناك مشروعا وضع لسنة ١٩٣٨ عن تعميم المزارع التعاونية بمصر ، وفى سنة ١٩٥٢ تقدم صاحب المشروع الأول بمشروع جديد قائم على أحدث الوسائل وطلب منا إقراره ..

ومع انى لست من الاخصائيين فى هذا الشأن ، ولكنى كنت لا أنفك أقرأ عن المزارع التعاونية ، فلم أقدر على ضبط نفسى عن توجيه السؤال الآتى :

(هل أقامت مصر مزارع تعاونية على نمط مشروع ١٩٣٨ ؟)

(وهل قيدت الظواهر والنتائج التى أمكن الحصول عليها فى سجلات يومية وشهرية وسنوية ؟) . .

(وهل أمكن من هذا التسجيل استخلاص بعض القواعد عن مدى نجاح التجربة أو سبب فشلها أو عن مظاهر النقص فيها ؟

ولم أتلق اجابة على هذا السؤال .. مما يدل على أن القائمين بالمشروعين كانت دراستهم أكاديمية أو استقرائية ، لا تجريبية ، كما كنت أنتظر منهم وأومل ...

طريق الخلاص ومنهج العمل

من كل ذلك يتضح جليا ان شئون القرية المصرية وادارتها وما يتعلق بها من زيادة الانتاج والعمل على رفع مستوى المعيشة للمشتغلين بالزراعة وتمكنهم من زيادة الطاقة الانتاجية للافراد والمزارع والقرى — أمور لا تزال مرتجلة فى بلادنا وبعيدة عن التنظيم والتنسيق والبحث والتسجيل

وإذا سلمنا بأن الانتقال بالقرية المصريه من فوضى القرون الماضية الى حياة القرن العشرين ، يتطلب جهودا جبارة فيجب الاعتراف بأنه عمل شاق لم يحاوله أحد من الناس في مصر ، وإذا قدر لمثل هذا العمل النجاح ولو في دائرة محدودة ، فاني أعتبر هذا النجاح ، نقطة فاصلة في حياة البلاد وابتداء عهد جديد في سير نهضتها الانشائية وتطورها .

اريد :

يجب أن تتضافر الحكومة بوزاراتها المختلفة . . ويجب أن يعاونها أهل الرأى والفكر من رجال الاقتصاد والاجتماع. وأن يهتم بؤازرتها مجموعة من أصحاب الأملاك والشركات والهيئات المالية والعقارية

لكى :

تضع البلاد لنفسها سياسة ثابتة شاملة لرفع مستوى القرى المصرية حتى تساير حضارة القرن العشرين